

برامج تلفزيون الواقع في الفضائيات العربية والاعتراب الثقافي... أية علاقة؟

أ/ سامية قرابلي

قسم علوم الإعلام والاتصال

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل-

ملخص:

تنطلق هذه الدراسة من محاولة تشريح ظاهرة برامج تلفزيون الواقع في الفضائيات العربية منذ بدايات ظهورها الأولى، واستعراض المواقف التي تكونت إزاءها والتي تباينت بين مرحب ومهلل يرى فيها نافذة مشرعة تُسهل الانفتاح الثقافي للمجتمعات العربية ومادّة ترفيهية تلبّي احتياجات الشباب وترقى بذائقتهم الفنية والجمالية، وبين منتقد معارض لها يعتبرها أداة من أدوات الغزو الثقافي، وطريقا مختصرا لمسح هوية الشعوب العربية وطمس خصوصيتها الثقافية من خلال الترويج لنمط الحياة الغربية، الأمر الذي يخلق أزمة ثقافية لدى المشاهد العربي تتمظهر غالبا في حالات التمرد وعدم تقبل القيم والمعايير السائدة في المجتمع، وعدم الاستقرار في العلاقات الاجتماعية وانتشار ثقافة الاستهلاك.

وتخلص الدراسة إلى حسم الجدل بعرض جملة اقتراحات للحدّ من التأثيرات السلبية لهذه النوعية من البرامج وتخفيف حدة الشعور بالاعتراب الثقافي لدى المشاهد العربي.

الكلمات المفتاحية: برامج تلفزيون الواقع، الفضائيات العربية، الاعتراب الثقافي.

Abstract

this study starts off on the premise of exploring the phenomenon of the reality television in the arab satellite channels, since the beginning of its first appearance, and tackle the positions that were formed in relation to it; which varied between supporter and adversary who sees in it legitimate window that facilitate the cultural openness of the arab societies and an recreational article that provide the needs of young people and promoted with an artistic and an aesthetic .and between a critic that considers it as a tool of cultural invasion and a brief way to erase the arab's people

identity, and blur its cultural privacy by promoting to the western life style in which it creates the arab viewer a cultural crisis often presented as rebellion cases, and not accept values and norms prevailing in society, and instability in social relations and the proliferation of consumption culture.

The study concludes with the presentation of a number of suggestions to reduce the negative effects of this type of programs and reduce the feeling of cultural alienation.

Keywords: Reality television programs, Arab satellite channels, cultural alienation.

مقدمة:

أفرز التطور التكنولوجي الذي عرفته المجتمعات العربية مطلع الألفية الثالثة في مجال الإعلام - خاصة الفضائي منه- جملة من التغيرات ارتسمت ملامحها الأبرز في ازدحام خارطة البث الفضائي العربي بكم هائل من القنوات التي تعددت منابها ومشاريها، وتنوعت برامجها ومضامينها، وتزايدت ساعات إرسالها ونطاقات بثها. وتهافت ملاكها والقائمون عليها على استجذاب الجماهير واسترضائها بمضامين تجمع كثير من الدراسات على أن معظمها يتعارض مع مقومات الثقافة العربية الإسلامية، وتوجه لها أصابع الاتهام بترويج وإشاعة نموذج الثقافة ونمط الحياة الغربيين، وسحب المشاهد العربي إلى صراع قيمي عقائدي يحوله إلى كائن مغترب عاجز عن التوفيق بين ثقافة أصيلة تشرها منذ نشأته الأولى، وثقافة دخيلة كونية وعولمية تسلبه تفرده وتدفعه إلى التماهي والذوبان في واقع لا صلة له بواقع حياته، من خلال استنساخ برامج تلفزيونية أمريكية وأوروبية عرفت بتلفزيون الواقع. تشجعه - تارة بالتصريح وأخرى بالإيحاء والتلميح- على اقتباس النموذج الغربي في الملبس والمأكّل والمشرب والعلاقات والممارسات وحتى درجة تمسكه بالدين ومدى اهتمامه بالأخلاقيات بمقابل تعلقه بالماديات.

من هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة كمحاولة للإجابة عن تساؤل صاغه عبد القادر بن الشيخ (الشيخ، 2005، 19)، وما فتى يطرح نفسه بإلحاح - في ظل تعاظم الاهتمام بإنتاج هذه النوعية من البرامج في الفضائيات العربية-:

هل يمكن النظر إلى هذه النوعية من البرامج على أنها سعي جاد لتطوير الإنتاج التلفزيوني العربي من حيث أساليب العرض والمعالجة ومجالات الاهتمام تلبيةً لاحتياجات الشباب- على اعتبارهم الفئة الأكثر استهدافاً- واستجابةً لتطلعاتهم

وارتقاء بذائقتهم الفنية والجمالية، أم أنه تفتح ضبابي الرؤية مُغيبُ الأهداف، قد يحدث صعقة ثقافية تمسح هوية شبابنا وتحيله إلى كائن عاجز مهوك القوى في صراع لا متناهٍ بين ثقافة أصيلة مفعمة بالوطنية والروح القومية. وأخرى عولمية كوكبية تغريبية ؟

وقد ارتأينا معالجة هذا الموضوع من خلال التعرض للنقاط الآتية:

- الاغتراب الثقافي : دلالات المصطلح ومتعلقاته.
- ماهية برامج تلفزيون الواقع وواقع حضورها على خارطة البث الفضائي العربي.
- دوافع تعرض الشباب العربي لبرامج تلفزيون الواقع
- تلفزيون الواقع : بين التقبل والرفض
- اقتراحات وحلول

أولاً: الاغتراب الثقافي... دلالات المصطلح ومتعلقاته

الاجتراب واحد من المفاهيم المعاصرة التي تمتاز بحمولتها المعرفية والاجتماعية والحضارية، وعندما يرتبط بالثقافة أو ينسب إليها يزداد ثقله وتتشابك تفرعاته. من هنا وبغية الوصول إلى توصيف ملائم لهذا المصطلح؛ سيكون من الضروري أن نسبر غور هذا المفهوم المركب (بشقيه: الاغتراب والثقافة) في قواميس اللغات ومعاجمها العربية والأجنبية، حتى لا نزلق في متاهات معانيه المتشعبة.

الاجتراب في اللغة العربية:

ورد في لسان العرب: الغرب الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غرَّبَ عنا يغرِّب غرباً، وغرَّبَ وأغرب وغرَّبَه وأغرَّبه، نَحَّاه .

وفي الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتغريب الزَّاني سنة إذا لم يحصن" وهو نفيه عن بلده. والغربة والغرب والاجتراب النَّأي والبعد. (ابن منظور، دت، ص338)

الاجتراب في اللغات اللاتينية:

يقابل كلمة اجتراب في اللغة الإنجليزية alienation وتعني: " قابلية الشيء للتنازل عنه أو بيعه"

يستعمل علماء اللغة الاجتراب بمعنى التنحية والإقصاء من الوطن، ويلاحظ في هذا السياق أن القواميس العربية تبرز الجوانب الحسية الحركية لمعنى التغريب الذي يأخذ صورة النفي والإبعاد القسري عن الوطن والأهل.

يبدو وبشكل جلي أن المعاني أنفة الذكر التي حملتها معاجم اللغة لكلمة اغتراب ترتبط بالانفصال عن الأرض، ما يجعلها ضمن أطر الاغتراب المكاني أو الجغرافي. ولكن مفهوم الاغتراب يأخذ في توظيفاته الأخرى أبعاداً فكرية ثقافية وعلمية واجتماعية متعددة ومتنوعة، تتجاوز حدود الدلالة البسيطة بوصفه حركة ابتعاد ونأي.

الاغتراب اصطلاحاً:

يستخدم مصطلح الاغتراب بمعنى حالة الانفصال بين الفرد والموضوع، وبين الفرد والأشياء المحيطة به، وبين الفرد والمجتمع، مما يعني أن علاقة الفرد بالأشياء أو بالموضوع علاقة غير سوية، فهو يعيش بين أهله وفي مجتمعه ولكن في دائرة الغربة والانفصال، إنه يعيش في عالم مجرد من القيم لدرجة أنه لا يرفض الحياة فقط بل يعادها، فيدخل الفرد إلى عالم اللانتماء ويفقد الحس والوعي. (وهبة، 1979، د ص) ومنه فإن مصطلح الاغتراب يشير إلى فقدان أو نقص العلاقة أو الصلة حيث يجب أن تكون تلك العلاقة متوقعة، وهي حالة يكون فيها الأشخاص والمواقف الشائعة غريبة عن الشخص. وهكذا يتمحور معنى الاغتراب حول شعور الفرد بأنه غريب عن ذاته، أو عن مجتمعه الذي يحيا فيه.

الثقافة في اللغة العربية:

يشهد تراث اللغة العربية بعدم وجود أصل يحمل الدلالة الاصطلاحية لكلمة "ثقافة"، ففي القواميس العربية -على غرار لسان العرب والقاموس المحيط- تأتي من "ثقف" بمعنى حذق و فطن، وتعني تهذيباً وتشذيباً وتقويماً وتسويةً من بعد اعوجاج. يُقال فلانٌ إنسانٌ ثقِفٌ أي ذو فطنةٍ وذكاء. (ابن منظور، دت، 364) وقد جاء في الخطة الشاملة العربية : "أنَّ الثَّقافة بالمعنى العربيّ الأصيل للكلمة تعني سرعة التّعليم والحذق والفطنة وثبات المعرفة بما يحتاج المرء إليه". (العابد، 2004، 20) أي أنّها تحمل معاني الفطنة والذكاء والتهذيب.

الثقافة في اللغات اللاتينية:

تشتق اللفظة الإنجليزية (culture) من الكلمة اللاتينية (cultural). وظلت حتى بدايات القرن السابع عشر تعني فلاحه الأرض. ومع القرن الثامن عشر أصبحت تعبر عن التكوين الفكري عموماً وعن التقدم الفكري للشخص بخاصة، وعمّا يتطلبه ذلك من عملٍ وما ينتج عنه من تطبيقات. غير أنّ انتقال الكلمة إلى الألمانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر؛ أكسبها مفهوماً جماعياً بحيث صارت دالة

على التقدّم الفكريّ الذي يتحصّل عليه الفرد والجماعات الإنسانية بصفة عامّة.
(عماد، 2008، 29)

يستخلص ممّا سبق أنّ المعاني اللّغوية للثقافة تدور حول أمرين:

-الأول: تقويم الأشياء لمستوي معتدلة، سواء كانت فكراً أو سلوكاً أو أشياء مادّية.

-الثاني: التّفوقّ الفكريّ حدقاً وفطنةً، ممّا يؤدّي إلى الإدراك والفهم.

في الاصطلاح:

تجدد الإشارة إلى أنّ الثقافة كانت ولزالت من المفاهيم العصبية على التعريف،
التي يصعب تحنيطها في تعاريف جاهزة. لذا فأغلب التعاريف التي وُضعت كانت
إجرائية.

وقد تناولت هذه التعاريف كلمة ثقافة من نواحٍ عديدة؛ من الناحية
السوسولوجية والأنثروبولوجية والإثنولوجية، أشارت جميعها إلى أنّ هذا المصطلح
يغطّي حقائق مختلفة بحسب الذي يوظّفه.

أولّ معنىً لكلمة الثقافة - والمتداول بكثرة - يعود إلى مجموعة من المعارف والأفكار
التي تسمح لنا بتمييز المواضيع ذات الشقّ الثقافي من تلك التي لا تمتّ له بصلة.
(Bruno Ollivier، 2007، p183)، ومن أشهرها:

- تعريف العالم الإنجليزي "إدوارد تايلور Edward Taylor" في كتابه: "الثقافة
البدائية" الصّادر العام 1871م: "ذلك الكلّ المركّب الذي يشتمل على المعرفة
والعقائد والفنّ والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات التي يكتسبها
الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع". (الحاج، 2001، 168)

- ويعرفها "إبراهام مولز" بأنّها: "رواسب ما استوعبناه وفهمناه وتكاملنا معه خلال
كلّ ماضيها فأضحى عنصرها من عناصر حاضرنا يتنافر أو يتآلف مع إدراكنا الحالي
للعالم الخارجي". (بابا غواي داي وآخرون، 1983، 50)

- عرفها مالك بن نبي في كتابه "شروط النهضة" على أنّها: " مجموعة الصّفات
الخلقيّة والقيم الاجتماعيّة التي يتلقاها الفرد منذ الولادة كراسماليّ أوليّ في الوسط
الذي وُلد فيه، والثّقافة على هذا هي المحيط الذي يشكّل فيه الفرد طباعه
وشخصيته". (بن نبي، 1987، 79)

- ويرى عبد الرّحمن عزّي أنّها: "كلّ ما يحمله المجتمع (الماضي)، وما يُنتجه
(الحاضر والمستقبل)، من قيمٍ ورموزٍ معنويّةٍ أو مادّية، وذلك في تفاعله مع الزّمان
(التّاريخ)، والمكان (المحيط بماضي ذلك النّظام الاجتماعي). انطلاقاً من بعض

الأسس(القيم) التي تُشكّل ثوابت الأمة وأصولها (البعد الحضاري)". (عزي، 2003،
295)

- وفي العلوم الاجتماعية: "الثقافة هي أساليب وأنماط المعيشة التي تتعلّمها الأجيال الجديدة من القديمة عن طريق الاتصال اللّغوي". (طالب، 2009، 75)
- يعرفها معجم مصطلحات عصر العولمة بأنّها: "البيئة التي يحيا فيها الإنسان، والتي تنتقل من جيل إلى جيل، وتتضمّن الأنماط الظاهرة والباطنة من السلوك المكتسب عن طريق الرّموز، وتتكوّن ثقافة أيّ مجتمعٍ من أفكاره ومعتقداته ولغته وفنونه وقيمه وعاداته وتقاليده وقوانينه، وغير ذلك من وسائل حياته ومناشط فكره". (عبد الكافي، دت، 166)

- وأما التعريف الذي انبثق عن المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية الذي عقد بمكسيكو بين 06جويلية و06 أوت 1982، تحت إشراف اليونسكو فقد نصّ على أنّ الثقافة بمعناها الواسع، يمكن أن ينظر إليها اليوم على أنّها "جماع السمات الروحية و المادّية والفكرية والعاطفية التي تميّز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم و التقاليد والمعتقدات". (بن نعمان، دت، 23)

الاغتراب الثقافي اصطلاحاً:

استخدم مصطلح الاغتراب بمعنى حالة الانفصال بين الفرد والموضوع، وبين الفرد والأشياء المحيطة به، وبين الفرد والمجتمع، مما يعني أن علاقة الفرد بالأشياء أو بالموضوع علاقة غير سوية، فهو يعيش بين أهله وفي مجتمعه ولكن في دائرة الغربة والانفصال، إنه يعيش في عالم مجرد من القيم لدرجة أنه لا يرفض الحياة فقط بل يعادها، فيدخل الفرد إلى عالم اللانتماء ويفقد الحس والوعي. (وهبة، 1979، ص)
ومنه فإن مصطلح الاغتراب يشير إلى فقدان أو نقص العلاقة أو الصلة حيث يجب أن تكون تلك العلاقة متوقعة، وهي حالة يكون فيها الأشخاص والمواقف الشائعة غريبة عن الشخص. وهكذا يتمحور معنى الاغتراب حول شعور الفرد بأنه غريب عن ذاته، أو عن مجتمعه الذي يحيا فيه.

أما الاغتراب الثقافي فمصطلح يطلق على حالة الصراع الثقافي المقلق التي تتجاذب المجتمع خلال مرحلته الانتقالية من طور الثقافة الأصلية إلى ممارسات الثقافة الوافدة، ويتنازع على إثرها شعور قيمي متضارب يتلخص في التحدي أو

الاستجابة. وقد تصل حدة هذه الحالة إلى صراع ثقافي على مستوى الأجيال أو تكمن داخل الشخص الواحد. (بدر، 1414هـ، 84).

وهو على المستوى الفردي تعبير عن عدم الرضا والرفض للمجتمع وثقافته، وجوهره الشعور بالفقدان وأشدّه فقدان الذات، ويوجد عند الفرد شعورا بالبؤس يستحيل معه المغترب شخصا منهوك القوى جسمانيا، متمزقا عقليا، يتلبسه الخوف والوحدة وعدم الإحساس بتكامل الشخصية، الأمر الذي يؤدي به إلى فقدان الثقة وبالتالي عدم الالتزام الاجتماعي والتسيب. (ليب، 1984، 43)

ثانيا: حول ماهية برامج تلفزيون الواقع وواقع حضورها على خارطة البث الفضائي العربي

• مفهوم برامج تلفزيون الواقع:

تعرف برامج تلفزيون الواقع على أنها نوع تلفزيوني يُجسّد عبر التصوير الحي لأشخاص نكرة أو معروفين في اللحظة ذاتها التي يكونون في أوضاع مختلفة، سواء معدة مسبقا وفق سيناريو جاهز أو لا. ويبث تلفزيونيا بشكل مباشر أو مسجل، كاملا أو تختار أحسن المقتطفات مما تم تصويره.

غير أن نصر الدين لعياضي يرفض الأخذ بهذا التعريف الذي يعتبر برامج تلفزيونا نوعا تلفزيونيا، في المقابل يراها مادة تلفزيونية تتضمن العديد من الأنواع التلفزيونية تمزج بين النمط اللهوي والنمط الوثائقي والنمط الدرامي، لإنتاج تصور عن الذات والآخر والعالم، تحركها مقاصد مختلفة ليست كلها معلنة. (لعياضي، 2008، دص)

يوافقه في هذا حسن عماد مكاوي حين رأى أن تلفزيون الواقع هو " نوعية من القوالب البرمجية غير المعدّة مسبقا، تتضمن شبابا عاديين، يتمّ عزلهم عن بيئتهم الطبيعية، ويتعرضون لمواقف غير عادية في إطار تنافسي من أجل الفوز بجائزة أو لقب ما. ويتم توظيف تقنيات الإنتاج، من كاميرات وأجهزة لتصوير المتنافسين داخل الغرف المغلقة والأماكن الخاصة، ويعكس البرنامج مزيجا من المعلومات والترفيه والتسجيل والمواقف الدرامية، ويتسم بالتفاعلية، من خلال مشاركة الجمهور في التصويت والتحكّم في النتائج النهائية". (مكاوي، 2005، 79)

أما نهوند القادري عيسى فقد استخلصت من إجابات مبحوثها مفهوما لتلفزيون الواقع يرى أنه " نمط جديد غير تقليدي من العمل المتلفز، يحمل للمشاهدين متعة

الفرجة على حميميات الآخرين، مقدا لهم بديلا أفضل من واقعهم". (العياري، القادري عيسى، 2008، 96).

• برامج تلفزيون الواقع في الفضائيات العربية: الظهور وواقع الحضور سيكون من المجدي استقراء الظروف والمناخات الاجتماعية والسياسية التي سبقت وتزامنت وظهور هذه النوعية من البرامج على الفضائيات العربية، في محاولة لإيجاد مبررات لاهتمام ملاك هذه القنوات بإنتاجها والإقبال المتزايد للجماهير على مشاهدتها.

تشير العديد من الدراسات إلى أن المحاولات الأولى لاقتباس النموذج الغربي لهذه البرامج قد كانت عقب فترة عرفت فيها المنطقة العربية هزات جيوسياسية - على حد تعبير الزرن - (الزرن، 2005، 79) كان أشدها وطنا على العرب حرب الخليج وتوقيع اتفاقية السلام مع الكيان الصهيوني، وقتها التجأت القنوات العربية إلى الدراما التاريخية لتعوض الجمهور العربي عن خيباته وتوقظه من الأحلام الوردية التي أغرقته فيها الدراما المصرية لعقود مضت.

ذات الفترة التي شهد فيها قطاع السمعي البصري في الوطن العربي تحولا من العمومي إلى الخاص، ومن الأرضي إلى الفضائي عقب إطلاق أجيال جديدة من عربسات وقمر النايل سات، وما أفرزه من طفرة في مجال الإعلام الفضائي العربي، وهو الوضع الذي حفّز القائمين على هذه القنوات الفتية على القفز عن المألوف والبحث عن الجديد غير المعروف، سعيا نحو التميز والاستمرارية ورفع سقف المكاسب والمرباح المالية.

ولأن الهدف الأخير كان الأكثر سيطرة على توجهات ملاك هذه القنوات؛ فقد استلزم الأمر اختصار الطريق واختزال الجهد وريح الوقت اللازم للتفكير والتخطيط والإعداد والإنتاج والإخراج، باستيراد الفكرة معلبة في قوالب جاهزة لا يتطلب الأمر إلا عناء دبلجتها إلى العربية.

وقد كانت قناة المستقبل اللبنانية سباقة في ذلك بعرضها للنسخة المعربة من برنامج "الحلقة الأضعف" سنة 2002، وحذت حذوها عديد القنوات العربية حتى صارت برامج تلفزيون الواقع سلعتها المميزة التي يقبل عليها الجمهور بشراهة ودونما توجس من المضامين الثقافية الغربية التي تروج لها.

ولا أدلّ على ذلك برنامج "ستار أكاديمي" الذي شرعت قناة LBC اللبنانية في عرضه شهر ديسمبر عام 2003، والذي أشارت بعض الإحصائيات إلى أنه استقبل في أحد مواسمه 70 مليون مشاركة لاختيار الفائز بلقب " ستار أكاديمي". (لعياضي، 2005، ص 20)

على العموم عرفت الفضائيات العربية منذ ظهور برامج تلفزيون الواقع على شاشاتها، شيوع أنواع عديدة أهمها:

• برامج الحديث الاستعراضي: تتخذ من الخلاف العائلي ومصاعب الحياة الزوجية ومخاطر تفككها، والحياة الحميمية للأشخاص موضوعا لها. (لعياضي، 2005، ص 12)، على شاكلة برنامج " المسامح كريم" الذي يقدمه جورج قرداحي على قناة أبوظبي الإماراتية، و "أحمر بالخط العريض" على الـ LBC اللبنانية و"عندي ما نقلك" على قناة التونسية، و"ما وراء الجدران" على قناة النهار الجزائرية "ناس وحكايات" على الجزائرية وان... والقائمة طويلة لشقائق هذه البرامج التي تتغذى على الفضائح الأخلاقية لعامة الناس من خيانة زوجية وشدوذ وزنا محارم واغتصاب و... الخ. وهي في الأصل نسخ عن برنامج " أوبرا وينفري Oprah Winfrey show " الذي عرض ل 22 موسما، واستقطب اهتماما عالميا جعله يصنف عام 1998 على أنه أفضل برنامج تلفزيوني في القرن العشرين.

• برامج تغيير الوضعية الاجتماعية للمشاركين: هو ذلك النوع الذي يتطلب من المشاركين التخلي عن وضعهم الاجتماعي والمهني والثقافي، وتقمص دور آخر في سياق اجتماعي واقتصادي وثقافي مغاير (لعياضي، 2005، ص 13)

عن هذا النوع تحديدا؛ يقول نصر الدين لعياضي أنّ الفضائيات العربية لم تملك الجرأة لاستنساخ برامج تفرض على الزوجين أن ينفصلا مؤقتا، ويستبدلا الشريك بآخر ويعيشا ضمن عائلة أخرى، ولكنها استعاضت عنها بالفكرة الأكثر حظوة بالقبول من الأولى، من خلال تعريب نسخة برنامج The farm تحت مسمى الوادي، وهو البرنامج الذي عرضته قناة lbc اللبنانية عام 2005، والذي يفرض على المشاركين العيش في مزرعة وفق نمط معيشة زراعي متقشف للتنافس على لقب أحسن مزارع.

- ويدرج ضمن ذات الفكرة البرامج التي عملت على تغيير شكل المشارك ومظهره، في محاولة صريحة لتكريس مقاييس الجمال الغربية التي يختصرها الشعر الأشقر والعيون الملونة والقذ النحيف الممشوق. (لعياضي، 2005، ص13)

وهو فعلا ما كرسه وجسده برنامج "بصراحة أجمل" الذي انطلق عرضه على قناة MBC1 سنة 2008، ثم حمل اسم مقدمته خبيرة التجميل جويل ماردينان "جويل" الذي استمر عرضه لأكثر من عشرة مواسم، ولا يزال . تقوم فكرة البرنامج على تلبية رغبة المترشحات في تغيير مظهرهن وإطلااتهن عن طريق الخضوع لسلسلة من العمليات التجميلية لتقويم الأسنان وتصغير الأنف وتكبير الصدر ونحت الجسم والتخلص من علامات التقدم في السن، وتغيير لون الشعر وقصته ونمط اللباس المعهود.

بنفس الفكرة أيضا انطلق برنامج " أنت أجمل " الذي عرضته قناة دبي TV وبرامج أخرى على المحطات الفضائية العربية بشكل ملفتٍ برعاية من كبريات شركات إنتاج مواد التجميل العالمية، ما يكشف التوجه الربحي التجاري لهذه القنوات وبعدها عن المضمون الجاد.

نوه في هذا السياق أن حتى التقليد قد أصابت القنوات الفضائية الجزائرية بعرضها لبرنامج " بدل اللوك يحبوك" على قناة الجزائرية عام 2012، والذي تصطبح فيه مقدمة البرنامج المشاركة إلى صالون تجميل لتغيير لون شعرها وتزيين وجهها، بعد أن تكون قد رافقتها إلى أرقى محلات الملابس النسوية بالجزائر العاصمة، واقترحت عليها بدلتين أو أكثر مغايرة للستايل الذي تعودت على ارتدائه تماشيا مع الموضة أولا وشخصيتها ثانيا. ليختم البرنامج بلحظات درامية يختلط فيها الفرح بالبكاء من وقع المفاجأة التي أحدثتها رؤية المشتركة لمظهرها الجديد على مرآة كبيرة. وبنفس الفكرة وذات المقدمة شرعت القناة المذكورة مؤخرا في عرض برنامج الموضة والجمال "ميس شوبينغ miss shopping".

● برنامج نقل الواقع الحقيقي للمشاركين: تعتمد هذه البرامج على تصوير حياة الأشخاص في واقعهم الحقيقي وفي حياتهم اليومية، دون تغيير أو تعديل سواء كانوا من المشاهير أو كانوا أشخاصا عاديين. (لعزري، 2010، 67)، يلحظ فشل هذه الصيغة من برنامج تلفزيون الواقع في الفضائيات العربية لاعتبارات تتعلق غالبا باحترام الخصوصية، قامت على اقتباس فكرة برنامج الواقع الشهير كيبينغ آب

ويد ذو كارداشيانز (Kepping up with the kardashians) - الذي عرضته MBC4 مترجما إلى العربية لأكثر من 10 مواسم-، البرنامج يعرض واقع حياة الشقيقات كيم Kim الأخت الكبرى وكورتني Kourtney وكلوي Khloé كارداشيان، شقيقهن روب Rob، أمهن كريس جينر Kris Jenner، وزوجها بروس Bruce المتحول جنسيا، وبناتهما كيندل Kendall وكايلي Kylie جينر، بالإضافة إلى شخصيات أخرى تترك آثارها على العائلة التي تحتل المرتبة الرقم 1 في الولايات المتحدة والعالم. كيم كارداشيان هي الأكثر شهرة بين أفراد العائلة على وسائل التواصل الاجتماعي. بدأت بفيلم إباحي تسرب قبل بضعة أعوام إلى الإعلام وساهم في تسليط الضوء عليها (أبي عازار، 2015)

على شاكلة هذا البرنامج عرضت قناة LBC اللبنانية واقع حياة خوات سنة 2014، والأخوات عبد العزيز The sisters (2015)، وكلاهما فشلا فشلا ذريعا، فالأول الذي يعرض حياة خمس أخوات بحرينيات لم ينجح في إقناع المشاهدين بواقعية ما يعرض عليهم ولم يجانس ثقافة المجتمع الخليجي، أما الثاني والذي يعرض يوميات الشقيقات اللبنانيات أليس، نادين و فرح اعتبر أسوأ نسخ الأخوات كارداشيان الأمريكي، تتمحور فكرة البرنامج حول الحياة اليومية للجميلات الثلاث، وما يفعلنه ويتحدثن به خلال النهار، كيف يستيقظن، وماذا يشربن أو يلبسن، ماذا يزعهجن، وما رأيهن في ما يحصل حولهن؟ وقد كان التكلف والاصطناع في المواقف والمشاعر والتعبيرات اللفظية والجسدية السبب المباشر في فشل البرنامج.

إلى ذات النهاية وصل برنامج الملكة the queen للفنانة الإماراتية أحلام، بعد عرض حلقة واحدة منه على قناة دبي عام 2016، بعد الضجة التي أحدثتها على مواقع التواصل الاجتماعي وهو بالأصل نسخة عن برنامج النجمة العالمية باريس هيلتون الذي عرض عام 2008 باسم "صديقي المقرب my new f f"، في البرنامج يتنافس 25 مترشحا من مختلف الأقطار العربية على كسب رضا الملكة المغرورة والمتطلبة بشتى الأساليب، للظفر بلقب مساعد فني يرافقها في حياتها الفنية.

• برامج المنافسات والمسابقات: قائم على التنافس والمواجهة، ويعد هذا النوع من برامج تلفزيون الواقع الأكثر حضورا على الفضائيات العربية لاعتبارات تجارية بالأساس، فكرة هذه البرامج تركز على تنافس عدّة مترشحين من بلدان عربية مختلفة في مراحل تصفوية للظفر بلقب أحسن صوت؛ مثلاً (the voice)، أو

موهبة (arab's got talent) أو ممثل (ararb casting) أو طاه (top chef)، أو مصمم أزياء (project runway middle east) .

- تجدر الإشارة أن الاتكالية وانعدام روح الإبداع لدى منتجي هذه البرامج قد تجاوز حد استيراد الفكرة، فسيناريوهاها وديكوراتها وحتى تعليقات أعضاء لجنة تحكيمها مستنسخة عن الأصل بصورة فاضحة مثيرة للسخرية والشفقة في أن واحد.

- مما يثير الانتباه أيضا، وأشارت إليه بعض الدراسات الإعلامية المتعلقة ببرامج تلفزيون الواقع هو أنه رغم تعدد المجالات التي تشملها هذه النوعية من البرامج فإن نسبة ما يقارب ثلاثة أرباع من برامج تلفزيون الواقع في القنوات العربية تقتصر على الجوانب الترفيهية مثل الغناء والرقص والألعاب وملكات الجمال وتصميم الأزياء والتجميل. بينما نجد أن الموضوعات الثقافية والجادة في برامج الواقع العربية مثل الشعر ومهارات الذكاء والاعتماد على النفس واتخاذ القرار واحترام الحوار وتقييم الذكاء والتشجيع على الخلق والابتكار لا تتجاوز ربع البرامج المقدمة. بل أقل من ذلك، وليس معلوما منها إلا أسماء قليلة كشاعر المليون (أبو ظبي)، نجوم العلوم (MBC4).

ثالثا: دوافع تعرض الشباب العربي لبرامج تلفزيون الواقع

- حصر حسن عماد مكايي الأسباب الكامنة وراء اندفاع الشباب العربي نحو متابعة هذه المادة التلفزيونية في النقاط الآتية: (مكايي، 2005، 79)
- 1- مقدرتها على تهيئة الظروف النفسية للشباب قصد معايشة أجواء الحلم الجماعي وإفراغ هواجس ومكبوتات ترتبط بمعاناته من إحباطات واقعه المعيش.
 - 2- اعتقاد الكثير من الشباب العربي أنّ احتراف الغناء والرقص والرياضة وعروض الأزياء هو الطريق السريع لاكتساب الشهرة والثروة والجاه.
 - 3- تتميز المرحلة العمرية للشباب بحب الاستطلاع والاندفاع والمغامرة والظهور.
 - 4- تتميز برامج الواقع بطابع المنافسة والتسابق من أجل تحقيق النجومية، وترقّب ذلك على مراحل وفترات تمتد إلى شهور.
 - 5- يتيح تلفزيون الواقع حميمية مفتعلة بين المشاهد والمتسابق في البرنامج من خلال التصويت على من يبقى وعلى من يرحل، مما يشبع غريزة حب التسلط على الآخرين.

6- أصبحت برامج الواقع مطمحا هاما لبعض الشباب، فالأمر لم يعد يتوقف على مجرد المشاركة، وإنما التطلع إلى المشاركة والفوز.

7- يتيح التواصل مع هذه النوعية من البرامج البديل المناسب لبعض الشباب عن فقدان الحوار داخل الأسرة أو احتقانه، وتقلص التواصل مع الرفاق والأصدقاء.

8- يزداد إقبال الشباب على هذه البرامج ذات الأفكار المستوردة لفقدانه الأمل في تغييرات حقيقية في حياته العامة..

● وفي دراسة لهيئة اتحاد الإذاعات العربية أجريت على عينات من مشاهدي برامج تلفزيون الواقع في كل من لبنان والإمارات العربية المتحدة وتونس، كشفت عن أسباب مشاهدتهم لهذا النوع من البرامج كما يوضحه الجدول الآتي: (المنصف العياري وآخرون، 2008، 96، 117)

دوافع المشاهدة	العينة اللبنانية (116 مفردة)	العينة الإماراتية (100 مفردة)
الحاجة الطبيعية للترفيه	21.6%	32.46%
الهروب من الواقع الصعب والحلم بواقع أفضل	19.8%	16.88%
التسلية وتمضية وقت الفراغ نظرا لانتفاء البديل	18.1%	16.88%
الفضول وحب التلصص على خصوصيات الآخرين	16.4%	10.38%
الحاجة إلى المشاركة المفقودة في الحياة اليومية	10.3%	28.57%
التماهي مع النجوم كتعويض عن الكبت	10.3%	2.59%

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج الدراسة .

● أما عزة مصطفى الكحكي، (الكحكي، دت، 24) فقد سجلت ارتفاع معدل الشباب الذين يشاهدون برامج تليفزيون الواقع بدافع " التسلية والشعور بالسعادة"، حيث أشار إلى ذلك بدرجة كبيرة نسبة 41.2% من عينة الدراسة، يليه دافع أنها " تقلل الشعور بالوحدة " بنسبة 39.2%، ثم دافع "محاكاة الأصحاب"، حيث ذكر 37.8% من العينة أنهم يشاهدون تلك البرامج بدرجة كبيرة لأن كل أصحابهم يتابعونها.

وذكرت نسبة 44.3% من أفراد العينة أن الدافع لمشاهدة تلك البرامج إلى حد ما هو أنه " تستهويني بعض شخصيات المتسابقين "، يليه إلى حد ما دافع " الاسترخاء والهروب من الضغط النفسي " بنسبة 43.4%، وتساوت هذه النسبة مع دافع أنها " تثير فضولي لمعرفة من الراح بنهاية البرنامج ".

- وجدت نسبة 47.6% وهي ما تقارب نصف العينة أن الدافع النفعي لمشاهدة برامج تليفزيون الواقع العربية كان إلى حد ما " أنها تساعدني على معرفة ملامح الواقع الذي نعيشه "

- جاء أيضاً الدافع بأنها " تشعرني بحرية التعبير وبسلطة اتخاذ القرار من خلال التصويت للمتسابقين " إلى حد ما بنسبة 46.8%، وتساوت نسبة العينة التي أشارت بأن الدافع النفعي لمشاهدة تلك البرامج إلى حد ما هو "أنها تسمح لي بمناقشة بعض الأمور المتعلقة بالحلقات مع الأصدقاء والأقارب، وأنها تزيد من مشاركتي للأسرة عند المشاهدة"، حيث حاز الدافعان على نسبة 46.5% لكل منهما، تلاهما دافع " اكتساب معلومات جديدة عن المتسابقين " إلى حد ما بنسبة 46.2%.

• أما سماح حسين القاضي فقد أظهرت دراستها: أن السبب الأهم الذي يدفع عينة الدراسة لمتابعة تلفزيون الواقع هو الملل بنسبة 80.33%، ثم تمضية وقت الفراغ بنسبة 79.42%، يليه الرغبة في الاستفادة من أسلوب حياة المشتركين بنسبة 67.58%، فالهروب من الواقع و الاطلاع على وسائل الترفيه التي يستخدمها المشاركون والتعرف على آخر المنتجات الاستهلاكية بنسبة 64% لكل سبب على حدة. (القاضي، 2014، 175)

رابعاً: تلفزيون الواقع... بين التقبل والرفض

تنشطر الرؤى حول هذا الموضوع في موقفين متباينين: أولهما يرى بعدم مسؤولية الأول عن الثاني، وثانئهما يعتقد بأن الثاني نتيجة حتمية وهدف غير معلن للسُّلعة الثقافية التي يروجها الأول.

عرض الموقف المؤيد والمرحب:

يعتقد المتقبلون لفكرة برامج تلفزيون الواقع أنه حتمية إعلامية تندرج ضمن ثقافة العولمة التي تلغي التمايز وتحض على الاندماج فيما يعرف بالثقافة الكونية، وأنها مطلب ملح خاضع لاحتياجات الجماهير لمواد إعلامية تسلمهم وترفه عنهم وتنسبهم إحباطات واقعهم وانكساراتهم. (لعياضي، 2008، 7 بتصرف) ذلك

الإقبال المتزايد للجماهير على متابعتها والتفاعل معها، من كافة الفئات العمرية فلم يعد الأمر قاصراً على الشباب بل أطفالاً وكهولاً وحتى شيوخاً، ومن الجنسين ذكوراً وإناثاً.

ويذهب أحدهم إلى القول أن برامج تلفزيون الواقع " تُشكّل نافذة مشرعة على العالم، وظاهرة قد تسرع في تحول القيم وتشجّع على مزيد من الانفتاح في مجتمعات مغلقة تنتظر من يحركها". (الهرقام، 2005، 5). وتسهل مهمة انتشارها من تخلفها ورجعيتها، في هذا الصدد سجلت سماح حسين القاضي ملاحظة عن برنامج " مخاطراتواجه الإعلام العربي"، الذي عرض على قناة أبو ظبي، تكرر عبارة: "لو أن العالم العربي بأسره تحول إلى ستار أكاديمي تغنيّ فيه الشعوب العربية وترقص في الشوارع بناتا وشباننا، لما ظهر في العالم الإسلامي الشباب الإرهابي" (القاضي، 2014، 44)

وفي ذات السياق ترى باسمة يونس أن البث الفضائي العربي ساعد المجتمعات العربية على الخروج من بئر الجمود والتخلف الحضاري، من خلال " تعريف الإنسان العربي بالثقافة الغربية وتفتيح مداركه ومعارفه في ماهيتها بغرض الاستزادة منها والنهل من بحورها" (يونس، 2004، 493)

البعض الآخر انبرى لتبرئة ذمة هذه البرامج من تهمة التغريب التي ألحقت بها، مستندين إلى نظرية النسبية الثقافية القائمة ليس فقط على نسبية تأثير التلفزيون وبرامجه، وإنما على خلفية نظرية تكشف على أن التباينات الثقافية بين الشعوب تنعكس في مضامين البرامج التلفزيونية وأن رؤية منتجها لها ولجمهورها تخضع - في آخر المطاف- لهذه التباينات (لعياضي، 2008، 6)

فالقول بحسبهم أن برامج تلفزيون الواقع تتحمل مسؤولية ضياع الأخلاق واندثار القيم في المجتمعات العربية مبالغة غير مبررة ومجانبة لواقع حال التلفزيونات العربية، ذلك أن مشاهد الانحلال الخلقي والعري كانت حاضرة على شاشات التلفزيونات العربية منذ بداياتها الأولى - وإن تباينت حدتها من قطر عربي لآخر- ولا أدلّ على ذلك ما دأبت السينما المصرية على تقديمه للمشاهد العربي من إحياءات جسدية ولقطات حميمة وعلاقات جريئة هي ذاتها التي تلاقي الرفض والشجب عندما تعرضها برامج الواقع.

• يتضح من خلال الطروحات السابقة أن مبررات الفريق الأول رغم ملامستها لواقع حال المشاهد العربي المكبوت عاطفيا المتلهف للفرجة والمتعة والمتربح للوafd الجديد، إلا أنها لا تتسم بالقدر الكافي من الموضوعية والمنطقية، ذلك أن البث الفضائي العربي لا يحقق التواصل الفكري والثقافي المتوازن بين طرفي المعادلة. لأن الكفة في الأصل راجحة باتجاه الطرف المالك للتقنية المتحكم في أبعادياتها، كما أن التسلية والترفيه لم تكن يوما مرادفا للابتذال والانحلال وسوء الأخلاق ولا مدعاة للتمرد والعصيان على قيم المجتمع.

عرض الموقف المعارض الناقد:

في الوقت الذي رحب فيه العديد من الشباب ببرامج تلفزيون الواقع، معتبرين إياها مصدر تسلية وإثارة، تعالت أصوات لتندّد بها معتبرة إياها جزء من خطة تهدف إلى التغلغل داخل المجتمعات العربية وتحطيم القيم والأخلاق فيها، وذلك عبر نشر الإباحية والانحلال الخلقي وتشويه عقول الشباب (الهرقام، 2005، 5) مما يشيع حالة من الاضطراب الاجتماعي، وعدم الاستقرار في العلاقات العامة الاجتماعية، وتنمية الفردية والروح الاستهلاكية، والهروب من التصدي لواقع الحياة، والاستسلام له، والانهار بالنموذج الأجنبي على حساب الهوية الثقافية، وكذلك تراجع الانتماء للهوية وازدياد اليأس والإحباط. (عيساني، 2010، 223)، وعلى العموم يمكن ذكر بعض تأثيرات برامج تلفزيون الواقع على المشاهد العربي في النقاط الآتية:

• تفكيك العلاقات الاجتماعية التقليدية: فقد أسهمت برامج تلفزيون الواقع في الفضائيات العربية في زعزعة الاستقرار الاجتماعي في العديد من المجتمعات، وقد تجلى ذلك في تقويض أركان النظم الاجتماعية وضعف درجة الالتزام بالمعايير والأنماط الاجتماعية من جانب أعضاء المجتمعات.

• النزوع نحو الفردانية وقتل الإحساس بالجماعة: من خلال تمجيد المغامرة الفردية والشعور بالعظمة الذاتية وتغليب قيم النفعية والمصلحة الشخصية. وإضعاف الروابط الأسرية وتعميق المشاعر الذاتية على حساب الالتزام الجماعي.

- إضافة إلى أنها تعمل على ترويج التعصب القطري، حيث ينقسم الجمهور المشاهد إلى أحزاب وطوائف، يناصر كل منها مرشح القطر الذي ينتمي إليه عبر الاتصالات والرسائل القصيرة SMS، بغض النظر عن جدارة المتسابق وأحقيته بالفوز

"مما يعزز ثقافة الإقصاء على حساب ثقافة التسامح والقبول بالآخر". (مكاوي، 2005، 80)

• **اللاهدية وفقدان القيمة:** فالتلفزيون كما أشار باركر ولايل وشرام يؤدي إلى الانسحاب من الحياة الواقعية إلى العزلة والتفاعل مع شاشة العرض التي يستسلم لها المشاهد، ويمتص ما تقدمه له ويتشرب ما يتضمنه من قيم، فهي تستغرقه وتهيمن عليه. (إمام، 1995، 253).

• بمعنى أن تكرار عرض الظواهر السلبية يمنحها شرعنة وقبولاً لدى المشاهد، وهذا بالفعل ما يراهن عليه القائمون على إنتاج برامج الواقع، فاللغط الذي أحدثته في بدايات ظهورها- بسبب الجرأة التي اتسمت بها-نسبياً لم يثبتم البتة واستمر عرض البرامج لأكثر من موسم واستمر معها إقبال الجماهير على مشاهدتها ويمكن القول أنه تضعف.

• **تكريس النمطية وقتل روح الإبداع:** فتداول قوالب جاهزة لبرامج تلفزيون الواقع على نطاق واسع في سوق التلفزيون المعولم؛ أفرغ العملية الإبداعية من محتواها وقلص مساحة الخلق والابتكار في التلفزيون، حيث صرنا نشاهد ضرباً من الاستنساخ التلفزيوني الذي يخشى أن يؤدي في نهاية المطاف إلى تنميط للأذواق والسلوكيات، وفرض نماذج ثقافية واستهلاكية مهيمنة في ظل عولمة غير متكافئة. (الهرقام، 2005، 6) - كما أن برامج تلفزيون الواقع تعتبر فضاء لتسليع العواطف والمشاعر الإنسانية فضلاً عن تأثيراتها السلبية في العلاقة بين الجهد والوجاهة، حيث أصبح التلفزيون وسيلة للشهرة حتى وإن كان الشخص فاقداً للشروط التي تؤهله لاكتسابها. (الهرقام، 2005، 6). ما يجعل الشباب العربي يعتقد بأن احتراف الغناء والرقص وعروض الأزياء هو الطريق السريع لاكتساب الشهرة والثروة والجاه وتحقيق النجومية المطلقة. يقول لعياضي في هذا السياق: "إن جوّ الإحباط الذي يعيشه الشباب العربي وانسداد أفقه، وتضاؤل آماله في المستقبل، جعل الكثير يعتقد أن احتراف الرياضة أو الغناء أو عرض الأزياء والموضة هي المنفذ الوحيد للرقى الاجتماعي ولاكتساب الجاه والثروة" (لعياضي، 2005، 28). وللتأكد من صحة هذه الفرضية يمكن مراجعة عدد الأشخاص الذين يغمرون أماكن إجراء مسابقات الانتقاء كل عام.

• **زعزعة القيم الأخلاقية والدينية ونشر الرذيلة والإباحية:** من خلال محاصرة المراهقين والشباب - بالدرجة الأولى- بمواد ثقافية يؤدي تعرّضهم المتواصل لها تدريجياً إلى فقدان الإحساس بالانتماء وإلى أزمة أخلاقية وغربة ثقافية. من خلال عرض

الحميميات بشكل مبالغ فيه، والتركيز على إثارة الغرائز وتشجيع معاورة الفواحش بتجسيم المفاتن وكشف العورات بلباس فاضح وبلقطات مكبرة تنزل بالمرأة عن مستواها الإنساني، وتصورها على أنها سلعة تقتزن بلذات ونزوات الرجال.

-إضافة إلى أنها بحسب الكثير من الدراسات تروج لمبدأ التجسس أو التلصص على خصوصيات الأفراد، وتتيح إقامة علاقات بين الشبان والفتيات في فضاء مغلق، على امتداد ساعات الليل والنهار. (مكاوي، 2005، 80) الواقع الذي أفضى إلى تسجيل تجاوزات عديدة وثقتها كاميرات المراقبة المنتصبة في كل زوايا البناية التي تأوهم، مشاهد المجون والخلاعة التي رافقت العلاقات الغرامية التي نشأت بين المتبارين والتي ضجت بها مواسم ستار أكاديمي العربي كانت أكثر الأسباب التي رفعت نسب مشاهدتها وزادت من إقبال المراهقين والشباب بالدرجة الأولى على مشاهدتها. ومن ثمة تقليدها دونما حرج.

ويقول بن بلقاسم: "إن هذه النوعية من البرامج غالباً ما تكون قاسية، وتعرض المشاركين للإذلال من أجل تسلية المشاهدين والحفاظ على مستوى إثارة ومشاهدة مرتفع، فأغلب قراء الصحف يبحثون عن الفضائح، وهذه الروح هي ما دفعت إلى نجاح "تلفزيون الواقع"، وللأسف فإن هذه البرامج تفتخر بأنها تقدم لجمهورها "العزيز والوفي" فضائح حية على الهواء. (العرب، ع13، 10823)

• خلق فجوة بين الأجيال ودفع الشباب إلى التمرد والعصيان: يعد الشباب العربي هو الفئة الرئيسية المستهدفة ببرامج تلفزيون الواقع، لأنه يميل بطبيعته إلى التجديد والفضول في التعرف على الوافد، وهو لا يملك مع ذلك الحصانة الفكرية التي تعصمه من السقوط في شرك الاحتواء الثقافي مما قد يضعف ارتباطه بتراث أمته فيكون أقرب إلى فقدان هويته الثقافية والوقوع برائن التضليل الفكري والتشويه العقدي. (النجيري، 1991، 215). الذي يضعه في المواجهة على جبهات عدة، بدء من الأسرة وانتهاء بالأمة والدولة.

• إثارة الشعور بالانهار بالغرب: يشكل الانهار بالغرب ظاهرة نفسية واجتماعية تتمثل في دهشة طرف بآخر، مع امتزاج تلك الدهشة لدى الطرف الأول بأنه عاجز عن اللحاق بالثاني أو مصارحته أو القيام بأداءات تصل في مستواها إلى مستوى أدائه، مما يشع لديه حالات من اليأس والحيرة والتردد أو الشك وفقدان الثقة بالنفس. (الهيبي، دس، 322)

يمتد هذا الإحساس والإحباط باليأس مدى أوسع عندما تتظافر جهود وسائل الإعلام على تصوير واقع العرب والمسلمين المتشردمين سياسيا، المتناحرين عقائديا، المتخلفين تكنولوجيا، والمفلسين فكريا، والمأزومين اقتصاديا واجتماعيا.

● نشر ثقافة الاستهلاك: من جانب آخر فبرامج تلفزيون الواقع تقوم "باستنزاف أموال المواطن العربي في أمور سطحية مما يمثل هدرا اقتصاديا" (مكاوي، 2005، ص80)، يقول أديب خضور بهذا الصدد: "ضمن المفهوم العام لتلفزيون الواقع، الجمهور هو الذي يشارك ويتصرف ويتحرك ويرسم السيناريو ويصوت للرايح، وبالتالي هو الذي يصنع البرنامج، بهذه الصورة تستفيد الشركات الإعلانية من سلوكيات الجمهور" (العرب، 2017، 13)، فعن طريق فتح اعتماد خطوط الهاتف في كل دولة والحصول على الأرقام، يتم اقتسام عوائد المكالمات بين فاتح اعتماد الخط وهو القناة. وبين مقدم الخط وهو شركة الاتصالات، الأمر الذي يعود على هذه القنوات بالريح الوفير، وخاصة إذا علمنا أن الإحصاءات تؤكد وجود عشرات الملايين من المتصلين بهذا النوع من البرامج عبر الوطن العربي. خداع منظم ومدروس يتعرض له الجمهور عبر هذه البرامج، هدفه إفراغ جيوب المتصلين المتلهفين والمتعلقين بهذه "الموضة" من البرامج.

● بعد هذا العرض؛ ربما لقائل أن يقول أن ما سبق ذكره يندرج في إطار ما يعرف بنظرية المؤامرة، وهو رأي لا يجانب الصواب فالحقيقة التي لا يجب أن نتجاهلها أن برامج تلفزيون الواقع وصفة ناجحة بامتياز يستمر المشاهد العربي في تذوقها بالرغم الجدل الذي تثيره -على مستواه الفردي وعلى المستوى الجمعي- وتفرض عليه محاكاة واقع لا يمت بصلة لواقعه بوعي أو دونما وعي. ومن هنا وجب النظر إلى هذه الظاهرة بنظرة مغايرة فبدل الشجب والرفض لها وتحميلها وزر الانحلال الأخلاقي الذي استشرى في مجتمعاتنا، وجب البحث عن البديل وتقديمه لهذا المشاهد المتعطش.

ختاما: مقترحات وحلول

يتعين في نهاية هذا الطرح رصد بعض الأفكار التي قد يشكل تجسيدها محاولة ذات جدوى للحد من تأثيرات برامج تلفزيون الواقع العربية وتخفيف حدة الاغتراب الثقافي الذي يعيشه المشاهد العربي نتيجة لها - في ظل استحالة محاصرة الظاهرة وإقصائها وانتفاء البديل -، والتي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- اعتماد قواعد الحوكمة الرشيدة في إدارة المؤسسات الإعلامية وفرض احترام مواثيق الشرف المهنية.

- استحداث هيئات لمراقبة المحتوى الإعلامي المروج عبر الفضائيات العربية وإخضاعه للتحجب أو المنع والتوقيف في حال تسجيل تجاوزات.
- تكييف برامج تلفزيون الواقع مع قيم الثقافة العربية الإسلامية وتحويرها لخدمتها وإشاعتها وتعزيز ارتباط الناشئة بها.
- تشجيع إنتاج برامج الواقع الجادة التي تعنى بتطوير المهارات وصقل المواهب وتحفيز الذكاء.
- تفعيل دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية - بدء من الأسرة مروراً بالمؤسسات الدينية والتعليمية ووصولاً إلى مؤسسات المجتمع المدني- في عملية التوعية بمخاطر التلوث الثقافي الذي تشيعه برامج الواقع المستنسخة التي تعرضها الفضائيات العربية عن طريق تقوية الوازع الديني وتشجيع الأجيال على الارتباط بقيم ثقافتهم الأصيلة والاعتزاز بتفرداتها وتمايزها.
- تشجيع دراسات الجمهور للوقوف على احتياجاته والأخذ بمقترحاته للارتقاء بالمنتج الإعلامي.
- الرقابة الوالدية على نوعية البرامج التلفزيونية التي يشاهدها الأبناء، وتقنين مدة وفترات المشاهدة وتشجيع المشاهدة الجماعية والابتعاد عن فكرة تلفزيون الغرفة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، (دت)، لسان العرب المحيط، دط، بيروت، دار الجيل ودار لسان العرب، المجلد الأول.
2. إمام، إبراهيم، (1995)، الإعلام الإذاعي والتلفزيون، د ط، الكويت دار الفكر العربي.
3. بدر، عبد المنعم محمد، (1414هـ)، الاغتراب وانحراف الشباب العربي، المجلة العربية للدراسات الأمنية، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، (16/8) ..
4. بن نبي، مالك، (1987)، شروط النهضة، ت: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، (ط4)، دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.
5. بن نعمان، أحمد، (دت)، هذي هي الثقافة، (ط1)، الجزائر: دار الأمة.
6. الحاج، كميل، (2001)، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، (ط1)، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 2001.
7. بن الشيخ، عبد القادر، (2005)، تلفزيون الواقع: أنموذج عابر أم رؤية متجددة؟، مجلة الإذاعات العربية، ع1.
8. الزرن، جمال، (2005)، عن تلفزيون الواقع وإليه: بداية الواقع أم نهاية الأسطورة؟، مجلة الإذاعات العربية، ع1.
9. طالب، محمد نبيل، (2009)، البرامج التعليمية والثقافية بالإذاعة والتلفزيون، (ط1)، القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع.
10. العابد، حسن عبد الله (2004)، أثر العولمة في الثقافة العربية، دط، بيروت، دار النهضة العربية.

11. عبد الكافي، إسماعيل عبد الفتاح، (دت)، معجم مصطلحات عصر العولمة: مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية، دد.
12. عزي، عبد الرحمن، (2003)، الثقافة وحتمية الاتصال: نظرة قيمية، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ع295.
13. عماد، عبد الغني، (2008)، سوسولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات من الحدائفة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية .
14. العياري، المنصف، نهوند القادري عيسى، خالد زعموم، (2008)، ظاهرة تلفزيون الواقع وامتدادها في التلفزيونات العربية، تونس، اتحاد الإذاعات العربية.
15. عيساني، رحيمة، (2010)، برامج الفضائيات العربية: قراءة نقدية في المحتوى القيبي، ورقة مقدمة ضمن فعاليات المؤتمر الدولي حول: الفضائيات العربية والهوية الثقافية، كلية الاتصال، جامعة الشارقة.
16. غواي داي، بابا وأخرون، (1983)، التنمية الثقافية: تجارب إقليمية، ت: سليم مكسور، (ط1)، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
17. القاضي، سماح حسين، (2014)، تلفزيون الواقع ونشر الثقافة الاستهلاكية، (ط1)، عمان، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع.
18. الكحكي، عزة مصطفى، تعرض الشباب العربي لبرامج تلفزيون الواقع بالفضائيات العربية وعلاقته بمستوى الهوية لديهم، د م ن.
19. النجيري، محمود محمود ، (1991)، الأمن الثقافي العربي: التحديات وأفاق المستقبل، (د ط)، الرياض، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.
20. لبيب، سعد، (1984)، دراسات في العمل التلفزيوني العربي، بغداد، مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج.
21. لعياضي، نصر الدين، (2008)، تلفزيون الواقع في المنطقة العربية، بين التجانس الثقافي والنسبية الثقافية، نشرت هذه الدراسة ضمن الفصل الخامس من الكتاب الجماعي المعنون: ثورة الصورة، المشهد الإعلامي وفضاء الواقع، مركز دراسات الوحدة العربية.
22. لعياضي، نصر الدين، (2005)، تلفزيون الواقع: رهانات التسلية، مجلة الإذاعات العربية، ع1.
23. لعزري، آمال، (2010) برامج تلفزيون الواقع في الفضائيات العربية وتأثيرها علىقيم وسلوك المراهقين، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر3.
24. مكاي، حسن عماد، (2005)، تلفزيون الواقع ومخاطره على الشباب، مجلة الإذاعات العربية، ع1.
25. الهرقام، عبد الحفيظ، 2005، تلفزيون الواقع: أي واقع، مجلة الإذاعات العربية، ع1.
26. وهبة، مراد، (2004)، الاغتراب والوعي الكوني، مجلة عالم الفكر الكويت، العدد الأول، 1979.
27. يونس، باسمة، دور وسائل الإعلام في إنتاج ثقافة هجينة، دمشق، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.
28. Bruno Ollivier, 2007 Les sciences de la communication Théories et acquis. Paris. Armond Colin
29. مواقع إلكترونية:
- أبي عازار، كريستين، (2015)، آل عبدالعزیز: كارداشيان العالم العربي؟ متوفر على الرابط <http://raseef22.com/life/2015/03/03/abdulaziz-kardashians-of-the-arab-world>
- العرب، تلفزيون الواقع لا علاقة له بالواقع، نُشر بتاريخ 25/11/2017، ع 10823. السنة 40، متوفر على: <http://www.alarab.co.uk/pdf/2017/11/25-11/p13.pdf>

